بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي من عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير.

اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] .

إِلهي إِنْ يَكُن ذَنبِي عَظِيماً ... فَعَفوُكَ يَا إِلَهَ الكَونِ أَعظَمْ

فَمِمَّنْ أَرتَجِي مَولايَ عَطفاً ... وَفَضلُكَ وَاسِعٌ لِلكُلِّ مَغنَمْ

تَرَكتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ وَرَائِي ... وَجِئتُ إِلَيكَ كَي أَحظَى وَأَنعَمْ

فَعَامِلنِي بِلُطفِكَ وَاعفُ عَنِّي ... فَإِنْ تَغضَبْ فَمَنْ يَغفِرُ وَيَرحَمْ

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة يا الله، وعمنا جميعاً بفضلك العظيم، اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من السلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني ربي من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: تكلمنا في الخطبة السابقة عن التغيير، كيف يستطيع الإنسان أن يُغير نفسه، وأن يتخلص من المخالفات الشرعية، كيف يُمكن أن يُحسن صلته بالله سبحانه وتعالى، وكيف يُمكن أن يُحسن علاقته مع عباد الله في المعاملات، ورأينا أن الإنسان كائِنٌ عظيم، كرمه الله تعالى، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] وأخضع له بل أسجد له ملائكته، عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُون﴾ [البقرة: ٣٠] حتى قال ربنا سبحانه في نهاية الآيات: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] وآدم والدنا، يعني الملائكة لا يَعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، هذه الآية في كتاب الله تَصف الملائكة، لما يَأمرُ الله الملائكة كلهم أن يسجدوا لأبينا آدم، هذا رمز له معنى بتكريم الإنسان، ولقد كرمنا بني آدم، إذاً الإنسان من الأهمية بمكان عند الله سبحانه وتعالى، ولكنه في حقيقة الأمر ضعيف، القرآن يقول: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] هو ضعيف ولكن الله كرمه، نستنج من ذلك أن الإنسان عنده طاقات كبيرة، هو ضعيف ولكن بتكريم الله له عنده طاقات كبيرة، والدليل أن البشرية انتقلت في عالم والتكنولوجيا والتقنيات العلمية انتقالةً نَوعية عظيمةً جداً، كانت في يوم من الأيام تعتبر أو تُعدَّ ضرباً ونوعاً من أنواع الخيال، لو أنك أخبرت إنساناً في بداية الإسلام أو في الجاهلية قبل الإسلام أن هناك جِسماً سيطير في السماء يحمل آلاف الأطنان، الطائرات والصواريخ، لَنَظر إليك وَضَحِك وأعلم مَن حوله بأنك مجنون تَحتاج إلى علاج، هل هذا الكلام صحيح؟ هذه النقلة النوعية التي حصلت دليل على أن الإنسان عنده طاقاتٌ كبيرةٌ جداً، ما الذي يحصل؟ الذي يحصل أن الإنسان تتعاوره أشياء كثيرة تُبعده عن تفجير هذه الطاقات، ولا يُريد الشيطان مِنك أن تكون إنساناً ناجحاً، والنفس الأمارة بالسوء تَدعوك إلى الكسل والدعة الذِي كان رسول الله ﷺ يَستعيذ بالله منه: ((اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)) والإنسان في الحقيقة يُدرك عقائدياً فَحوى هذا الوجود، ولكن إذا نظرت في معاملته الدنيوية وإلى صلته بالله وجدته كأنه لا يعرف شيئاً من أمور الوجود والكائنات، كما قال أحد الدعاة إلى الله: (كل الناس يؤمنون بالموت) قلبياً، ولا أحد ينكر مؤمنهم وكافرهم، حتى الذي قول لا إله والحياة مادة يعتقد أنه سيموت، حتى الذين يَجعلون مع الله إلهاً آخر، ويعبدون الأصنام والأبقار والشمس والمرأة، يَعلمون أنهم سيموتون، الموت حق يدركه كل مؤمن

وغير مؤمن، ولكن المشكلة في الأفعال وفي الواقع، فقال هذا الداعية: (كل الناس يؤمنون بالموت ولكن إذا نظرت إلى أفعالهم وجدت أن أفعالهم تتناقض مع هذا الادعاء، وكأنهم بأفعالهم كأنهم يَعتقدون أنه لا يوجد موت) بالأفعال ليس بالقلب، والمشكلة أن الإنسان يُحاسب على القلب وعلى الأفعال، وليس على القلب فقط، وهاهنا تكمن المشكلة، أنه يَظن أن الموضوع موضوع اعتقادي، وبزيادة الاعتقاد أنت تُعامل على أعمالك التي تعملها في الدنيا، فهذا الوجود نُدركه بعقولنا وقلوبنا وعقائدنا، نعلم حقيقته ولكننا ننساه في غمرة هذه الحياة، كل الوجود -أيها الإخوة- مبني على هذه الأشياء التي ذكرها القرآن:

أولاً: الحياة والموت: كل الوجود مبني على الحياة والموت.

ثانياً: الشيطان والإنسان: اقرأ القرآن.

ثالثاً: الحياة الدنيا والآخرة.

إذا إنسان وشيطان، والله مع الإنسان، والملائكة مع الإنسان، وهناك عدو اسمه الشيطان، وهناك حياة وموت، وهناك آخرة وهي من أركان الإيمان عندنا، الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، هذه الأشياء الستة سيكون لنا وقفةٌ معها، لماذا؟ التغيير أولاً يبدأ بهذا، بالعقل، وينعكس على الجوارح، ويبدأ أيضاً بهذا، بالقلب، وينعكس على الجوارح، فإذا تعاون العقل والقلب على التغيير يُمكن للإنسان أن يتغير، أما إن لم يحصل ذلك فهذا الإنسان يَتغير يوماً ويومين ثم يَعود لما كان عليه، إلى المخالفات الشرعية وإلى المعاصي وإلى الآثام، وأيضاً تسوء صلته بالله تعالى، وتسوء علاقته بالتعامل -الدين المعاملة- مع الخلق، وهكذا، التغيير يَجب أن يكون فكرياً وقلبياً، ثم يَنتقل إلى معاملاتنا اليومية وإلى الجوارح.

أول شيء يَجب أن نتكلم عنه هو هذه الحياة الدنيا التي نَعيشها، عندما أسأل نفسي وعندما يسأل الواحد مِنَّا نفسه: ما هذه الحياة الدنيا التي نعيشها؟ يُجيب الإنسان نَفسه بعقله وقلبه: سراب والله يا أخي الدنيا سراب، الله أحسن ختامنا، كلام رائع وجميل، الآن إذا سألنا أَسيادنا: إن الله ليستحيي مِن كل شيبةٍ شابت في الإسلام، هؤلاء بركتنا كبار السن، بركتنا وأشياخنا وعلماؤنا الأفاضل، هؤلاء بركة البلد، لو سألنا الطاعنين في السن، من الستين والسبعين والثمانين وربما فوق الثمانين: كيف رأيت هذه الحياة يا سيدي؟ يقول لك: والله كلمحة عين، كطرفة عين، بالأمس كنت طفلاً صغيراً ألعب في الحارة، والآن صار عمري سبعين وثمانين سنة، صحيح هذا الكلام أسيادنا؟ هذا كلام مُوجه للشباب وللجميع،

لكن سوف تزول هذه الحياة الدنيا كلمح البصر، هذا أمر نَعتقده رُبما، لكن في التعامل اليومي كأننا ننسى ذلك، عندك شيئان أو سؤالان –عندنا ستة أشياء، سنترك أربعة منها للخطب القادمة، والآن سنسأل سؤالاً: هل أنت مِن أهل الدينا أم من أهل الآخرة؟ ربما يَقول إنسان أنت مخطئ في هذا السؤال، لأن الله عز وجل علمنا أن ندعو فقال: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] لكن أنا أقول: إن هذه الآية تُقرأ بمعزل عن الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] كيف؟ الإنسان أعطاه الله نعماً كثيرة، وقلت لحضراتكم هذه النعم إن لم نحافظ عليها وإذا لم تُستخدم في إطارها الصحيح فَمَعنى ذلك أنَّ حالنا سيتغير من الأحسن إلى الأسوء، وهي آية سورة الأنفال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] وقلت لكم: هذه غير الآية التي في سورة الرعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] زالت عنا كثير من النعم، وربما زالت عن بعض الأشخاص، أتكلم عن موضوع عام، الآن أنت فَكِّر بِنَفسك، كانت عندك نِعَم وزالت هذه النعم، كنت ببيت الآن أصبحت مُهجر، كان عندك معَمل ذهب معملك، كنت أنت في صحة وعافية الآن أصبحت مريضاً، وهكذا على الصعيد الشخصي، وليس على الصعيد العام، أيضاً هذه النعم التي أَعطانا الله إياها هي تُشكل بالنسبة لنا (ما) الموجودة في الآية: الصحة، العافية، القوة، المال، الزوجة، الأولاد، كل ما عندنا من النِعَم في هذه الحياة الدنيا، الجاه، المنصب، محبة الناس لك، السمعة الطيبة، تقدير الناس لك، كل هذه الأشياء نِعَم من الله عز وجل، هي تُشكل بالنسبة لنا كلمة (ما)، لماذا؟ قال: لأن (ما) في اللغة العربية مِن أدوات العُموم، والله يَقول: ﴿وَابْتَغِ﴾ أي: اطلب ﴿فِيمَا﴾ في: حرف جر، ما: اسم مَوصول مبني على السكون في محل جر بحرف الجر، بمعنى الذي، اطلب في الذي آتاك الله إياه من النعم، اطلب الدار الآخرة، كل النعم يجب أن تكون مُسخرةً للآخرة، مَا الذي يَحصل؟ الذي يَحصل أن كل النعم التي عندنا غالبها مُسخر للدنيا، لا أستاذ، نَحن –الحمد لله– أناس مؤمنون، لا أتكلم عن العقيدة والإيمان، أتكلم عن الواقع الآن، أنظر للواقع، بمعاملات الناس اليومية، بالأسئلة التي ترد على الهواتف، أسئلة يَشيب لها الصغير، مخالفات شرعية بالجملة، فساد في النفوس، حِقد في القلوب، أشياء كثيرة جداً، تعلمون كثيراً منها، لأنها واقعنا

وواقعكم، والله خاف أن يتوجه المسلمون في عصر رسول الله ﷺ وفي عصر الصحابة –وأنتم تعلمون كيف كانوا الصحابة زاهدين في الدنيا– فخاف أن يَبتغوا في كل النعم التي أعطاهم الله إياها الآخرة وينسون الدنيا، فذكرهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] إذا عندي كلمة (ما)، وعندي كلمة (نصيبك)، ما: التي هي أداة للعموم هي للآخرة، ونصيبك: أي: حظك هي للدنيا، هكذا نقرأ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] نقرأها مع هذه الآية: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص/٧٧] كل شيء أعطاه الله إياه من النعم ابتغ به الدار الآخرة، لكن –أيها المؤمن– لا تنس نصيبك من الدنيا، الآن الواقع أننا نَقول: [إن كان أنا أو أنت كناصح أي مؤمن يحق له النصيحة، ليس الشيخ فقط، ليس على المحراب، ليس على المنبر، كل إنسان يَنصح] أنت الآن عندما تنصح، ونحن عندما نطلب من الناس ماذا نقول لهم: لا تنسوا نصيبكم من الآخرة، هذا الكلام صح أم خطأ يا إخواننا؟ مِن كثرة انشغالنا بالدنيا وإقبالنا عليها صِرنا بالعكس، صار واقعنا –نحن المسلمين– صار واقعنا: وابتغ فيما آتاك الله الدار الدنيا، ولا تنس نصيبك من الآخرة، هكذا أصبح الأمر، فانقلبت الآية علينا، يَوم كان أجدادنا وسلفنا الصالح يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة ولا يَنسون نَصيبهم من الدنيا، يوم كانت الدنيا في أيديهم ولم تكن في قلوبهم، سادوا العالم كله، وصلوا في أقل من مائة عام مِن حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً، جبال البرينيه ومعركة بواتيه أنتم تعرفونها، التي كانت المعركة الفاصلة، ولو أن المسلمين انتصروا في معركة بواتيه –والتي تَبعد عن باريس مائة وخمسين كيلو مِتر– لتغير وجه أوروبا كلها، أقل مِن مائة عام بالمعطيات العسكرية القديمة، وليس بالمعطيات الحديثة، الآن تَجدهم بقطر صغير لا يَستطيعون أن ينتصروا، أميركا بقيت في فيتنام كذا سنة، وفيتنام صغيرة جداً، مع أن معها مُعطيات حديثة وأسلحة حديثة وأقمار صناعية وأسلحة نوعية، أحياناً يبقون في بقعة صغيرة يَعملوا فيها أربع أو خمس سنين، لا يَتقدموا فيها إلا بضعة أمتار، المسلمون بمعطيات قديمة فتحوا الدينا بأقل مائة عام، هذا في علم الحساب العسكري غير مقبول، لكن عند الله نَتيجةٌ مَحتومة مُقررة، لا مجال للنقاش فيها، لماذا؟ كانوا مع الله فكان الله معهم، ونحن للأسف ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] هذه هي الحقيقة، هذا الكلام جميل، بالعقل موجود، بعقيدتنا موجودة، والله صح كلامك أيها الشيخ، أنا أريد الواقع، الواقع أن أعمالنا اليوم التي نَعملها تَنصب كلها

باتجاه الدنيا، وقليل منها يَتجه باتجاه الآخرة، ولكن يُمكننا أن نَقلب هذه المعادلة وهي سهلة، أن نقلب كل أوقاتنا لمصلحة الآخرة، وأن يَبقى جزء منها للدنيا، كيف؟ قال: نحن عندنا في إسلامنا شيء عظيم جداً، وهو النية والعمل، والرسول ﷺ قال: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)) لذلك لأجل هذا الحديث قال علماؤنا: (العادة تنقلب إلى عبادة بالنية) كيف؟ قال: أنت تَخرج من منزلك صباحاً إلى العمل، الواقع أو الشيء الظاهر أنك ذاهب لتطلب الدنيا، كيف تُسخر هذه الساعات للآخرة؟ أن تنوي عندما تَخرج من بيتك أولاً: السعي على العيال، وثانياً: أن لا تَسأل الناس، لأن مَسألة الناس لا تجوز وأنت قادرٌ على العمل، ذلك الرجل الذي أتى يَسأل رسول الله ﷺ، فوجده جلداً قوياً، فقال له: اذهب فاشتر فأساً، ثم اذهب إلى الوادي فاحتطب، ثم بِعِ الحطب، ففعل الرجل بِنَصيحة رسول الله وصار غنياً، لم يبق طول حياته حطّاب، بل صار غنياً، إذا مسألة الناس لا تجوز للقادر على العمل، والسعي على العيال، إذا كان لك أولاد، لك زوجة، لك أب، لك أم، لك أخت، لك أخوك، عندك طفل معاق أنت بحاجة، عندك طفل مَريض أنت بحاجة إلى أن تُؤمن له الدواء، وهكذا، فكل دقيقة وكل ثانية تَقضيها في العمل أنت مع الله، تبتغي بذلك وجه الله، شريطة:

أولاً: أن تَبتغي المال الحلال، أن لا تعمل في مهنة هذه المهنة تكون محرمة، وإذا لك يتوفر عمل؟ مضطرين، الذي يقول هذا الكلام هو إنسان في عقله لُوثة في العقيدة، لم يجد غير هذا العمل الذي فيه شبهةٌ حَرام، هذا في عقله لوثةٌ في العقيدة، مُلوث، في عقله خلل بالعقيدة، لماذا؟ قال: لأنه لما تكون أنت الرزاق تتكلم هذا الكلام، لما يكون ربنا عز وجل هو الرزاق لا تتكلم هذا الكلام، ومن ترك شيء لله عوضه الله خيراً منه، أنت تُفكر أن الله يَرزقني أنا وإياك فقط؟ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] دابة: يعني نملة، بعوضة، ذبابة، نحلة، الجراثيم التي لا تُرى بالعين المجردة، الدود في باطن الأرض، الدود في الصخر، الكائنات، الطيور، ﴿وَمَا مِن دَابَّة﴾ ليس وما مِن إنسان ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] قال علماء اللغة: لماذا لم يقل الله إلا رزقها على الله؟ قال: تقديم ما حقه التأخير يُفيد القصر والحصر، لما نقدم شيئاً حقه التأخير يُفيد الحصر والقصر، أي: أنها مقصورة بهذا الشيء المقدم، لأن على الله: خبر، ورزقها: مبتدأ، لماذا قدم الخبر على المبتدأ؟ على الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، لأن الرزق مُختص بالله تعالى، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] إي: لا على غيره، إلا على الله رزقها.

أعرابيٌ يطوف حول البيت، فسمع آية من كتاب الله، فبدأ يُرَدِّدها حتى خَرجت معها روحه، ما هي هذه الآية التي كررها حتى خرجت معها روحه؟ وصاح يقول: من ذا الذي كَذَّب الجليل حتى حَلف؟ من ذا الذي كذب الجليل حتى حلف؟ ثم مات، هو صادف ذلك ساعة موته فمات، ولكن هناك شَيء تأثر به، ما هي هذه الآية، قال قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ – لم تنهِ الآيات– فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ –أي الرزق– لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] تَشك أنك تستطيع الكلام، ليس الأبكم، الذي هو قادر على الكلام يعرف التكلم، هكذا رزقك، فهذا الرجل سمع مِن كثر المؤكدات الموجودة في الآية، ولا يحتمل المقام ذكر المؤكدات اللغوية، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] قال: من ذا الذي كَذَّب الجليل حَتى حلف، [ليش حدا كذب الله أو شاكك بالرزق حتى حلف كل هالأيمان] عربي فصيح يَفهم ما معنى أنَّ، ما معنى اللام، ما معنى القسم، ما معنى الجملة الفعلية، ما معنى التشبيه، كل هذه من الفصاحة والبلاغة، إذاً مَوضوع الرزق لما أجعله للآخرة يستقيم معي الحلال الطيب، العمل الذي فِيه شبهة أتركه، الله سيعوضك خيراً، نحن في أزمة أستاذ لما تنتهي الأزمة نَعمل عمل ثاني، هذا الكلام غير مقبول شرعاً، إذا كنت تبتغي رزقاً حلالاً طيباً، وعندما تخرج من بيتك تنوي السعي على العيال –من أجل أن نحفظ هذه النية إخواننا– من أجل السعي على العيال، وأن لا نَسأل الناس، وأن نعمل بقوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور﴾ [الملك: ١٥] في سورة الملك، ﴿فَامشُوا في مَنَاكِبِهَا﴾ مناكب الأرض طرقاتها، اسعوا بالعمل، ﴿وَكُلُوا مِن رِزقِه﴾ هو الرزاق، لا تنسى أن الله هو الرزاق، قضيت في العمل ثماني ساعات، تحتاج للأكل: نويت التقوي على طاعة الله، انقلبت العادة لعبادة، تريد النوم: نويت التقوي على قيام الليل، ولأجل صلاة الفجر، لراحة الجسد للطاعة، صار نومك عبادة، كل شيء يُمكنك أن تَقلبه من عادة إلى عبادة بالنية، حِينَها يُمكن أن نقول: إننا ابتغينا فيما آتانا الله من النِّعم الدار الآخرة، يعني باختصار أن يَكون قَلبك مُعلقاً بالله، بل العمل أيضاً، أي جوارحك مُعلقة بالله في كل فعل تقوم فيه، هذا الأمر لَيس صَعباً، لكن يَحتاج إلى إنسان عاقل يَفهم هذا الكلام، وكلكم كذلك مِن أهل العقل واللُّب، لماذا لا نَقلب حياتنا إلى عبادة لله، ونبتغي فيما آتانا الله الدار الآخرة؟ هذا بالنسبة للعمل الروتيني اليومي، لا يَجوز أن يَبقى للدنيا يا إخواننا، كله موجه للدنيا، لا يمكن، النية والعمل ضمن الاستقامة وأوامر الله.

ثانياً: أنت ما هو الهدف الذي تضعه لنفسك في الحياة، أنا أقول لك شيئاً، بعض المواقع الالكترونية والفضائيات أجرت استقراءً، سألوا الناس: ما هو هدفك بالحياة؟ سألوا الشباب المؤمنين في بعض الفضائيات الدينية التي تُعنى بالأمور الدينية، وبعض المواقع الالكترونية على صفحات الفيس بوك: ما هدفك في الحياة؟ فالشيء الصادم بالموضوع أنه خَرجت النتيجة بهذا الاستقراء أن ثمان وتسعين بالمائة مِنهم بلا هَدف لأمته ودينه، واحد هدفه أن يكون طبيباً، وواحد هدفه أن يكون مهندساً، وواحد هدفه أن يكون إعلامياً كبيراً، وواحد هدفه أن يكون قائد طائرة، والله العظيم عَجيب، أن تكون أمة الإسلام أهدافها دنيوية وغاياتها دنيوية، هذا الذي عنده هدف، والذي يَصدمك أكثر أن المؤمن يَعيش في الدنيا بلا هدف، هذا الشيء الصادم، يَعيش حياته الروتينية، يأكل ويشرب، وينام ويروح، شيء صادم، مُسلم مُؤمن يعيش بلا هدف في الحياة، كيف يَبتغي الدار الآخرة وهو يعيش بلا هدف، مشكلة كبيرة، هنا المشكلة بالفكر، لم ننزل إلى الممارسة اليومية والعملية بعد، لأنه الممارسة اليومية والعملية تَتبع الفكر، فإذا الإنسان المؤمن مُجرد من أفكار ومُجرد من هدف، فبطبيعة الحال كل أعماله الدنيوية، صلته بالله ضعيفة، معاملته مع الناس سيئة، مع زوجته وأولاده سيئة، ومع أهله سيئة، هذا إنسان يعيش بلا هدف، مشكلة كبيرة مع أنه مُقتنع أنه في حياة دنيا وفي آخرة، لكن هو مُسخر كل طاقاته التي أعطاه الله إياها للدنيا.

على فَكرة أنا لا أُريد مِن هذا الكلام أن أقول للشاب المؤمن: ازهد في الدنيا واترك العمل، هناك مَن يَعمل بجد واستقامة، محبوب في العمل، أثبت لرب العمل أنه إنسان جيد، وأنه إنسان ممتاز في العمل، وأنه مُتقن إتقان العمل جزء من ديننا، ساعات العمل التي يَقضيها الإنسان في التَّعلم، الطلاب، الأساتذة الذين يُدرسون في الثانويات في الإعداديات في الجامعات، ما أروع عملهم، الطلاب ما أروع عملكم، شيء رائع جداً، ما أتكلم عن الإتقان في العمل، وعن الجد في العمل، وعن الاستقامة في العمل، هذا جزء من ديننا، أتكلم أن لا يكون عنك هدف بالحياة، وأنت مؤمن، تؤمن أن الحياة الدنيا كلمحة بالبصر، وأن الآخرة هي الحياة الحقيقة، هذه هي المشكلة، كيف نتخلص من هذه المشكلة؟ أنت تُجيب نفسك عن هذا السؤال، أن لا أملك أن أجيب عن هذا السؤال، أنا أملك أن أجيب عن نفسي، لا أملك أن أجيب عنك، وتحزنك المشاهد التي تراها بهذه الأمة على القنوات الإخبارية، والقتل والتدمير والعنف، وبذور الطائفية التي دائماً يرميها ويزرعها الغرب فينا، ودائماً تَجد أنه لا يُوجد مشكلة إلا في العالم العربي والإسلامي، والأمة العربية والإسلامية مُتخلفة تقنياً ومُتخلفة علمياً، في وقت أرسل هارون

الرشيد ساعة إلى ملك فرنسا أوتوماتيكية، في عصر هارون الرشيد يُعيدها إليه ملك فرنسا معتذراً أن حاشيته وبطانته قالت له: إن فيها جناً وعفاريت، فهو يَعتذر عن هذه الهدية وخَشي أن يَغضب هارون الرشيد، فأرسل معها صُندوقين مِن الذَّهب، لكي لا يغضب هارون الرشيد من رد الهدية، أوروبا كانت في عصور مُظلمة لا يوجد فيها علم، نحن أرباب العلم، أول كلمة نَزلت في ديننا كلمة (اقرأ)، يا إخواننا القضية نحن، عندما يَسُوءُك ما ترى في الفضائيات، ويسوءك أن هذه الأمة لا تُحسن تَصنيع سيارة، ليس صاروخ بل سيارة، ويسوءك ما ترى مِن تقدم الغرب علمياً، ومِن ضعف هذه الأمة علمياً، وتشرذمها، وأنت تَبقى في مكانك، لا تَبتغي بعملك وحياتك اليومية وجه الله والدار الآخرة، وليس عندك هدف في الحياة، لا تَلُم الناس، لا تلم القيادات والشعوب، نحن فينا تقصير كبير، ولكن الحقيقة أننا لا نَنطلق، المشكلة أين؟ في الخطوة الأولى.

قال أحد الناس لواحد من الصهاينة، باحث غربي جاء ورأى أن هناك ثلاث عشرة ألف مئذنة في سورية، -رحم الله الدكتور شوقي أبو خليل صاحب هذه القصة- فذهب هذا الباحث الغربي فجلس مع الصهاينة وقال لهم: يا أخي هؤلاء يَبنون مَساجد كَثيرة، وكل مسجد له مئذنة، والمئذنة شبيهة بالصاروخ، ألا تَخشون من هذه المآذن، فضحك هذا الصهيوني وقال: لا نخشى منها لأنها صواريخ لن تنطلق، طبعاً لم يَقصد أنها حجر ولا يُوجد فيها مُحرك مِن تحتها، يَقصد أنَّ المسلمين لن يتحركوا، ما هكذا يكون الإنسان المؤمن بلا هدف في الحياة، ما خُلقنا من أجل الدنيا، النعم التي أعطانا الله إياها وهذه الطاقات يَجب أن تتوجه إلى بناء الأمة، ولا تُبنى الأمة إلا إذا بُنِيَ الفَرد.

فنحن مُطالبين بالكثير -أيها الإخوة- ما أريده أن نحفظ هذه الآية: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، استغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف